صفحات مشرقة من تراثنا البحري

الأسطول البحري في الفكر العسكري للناصر صلاح الدين الأيوبي

وفيق بركات

□ مقدمـــــة :

شهد القرن الحادي عشر الميلادي هجمة قوات الفرنجة الغاشمة التي جاءت تحت ستار حماية المقدسات المسيحية واستطاعت تلك القوات الكبيرة أن تحتل بالقوة الشريط الساحلي لبلاد الشام ،فسيطرت على المدن والحصون وشيدت القلاع(١) في المواقع الاستراتيجية وبذلك أمنت طريقاً مفتوحة بين القسطنطينية والقدس ٠

كان العرب في ذلك الحين يعيشون حياة التفرقة والتمزق ويتنازعون الدويلات والامارات وكانت سلطة الخلافة العباسية ضعيفة ، وبرز في تلك الظروف القائد الكبير صلاح الدين الأيوبي فوحد كلمة العرب في مصر والشام وقادهم الى الانتصار التاريخي في حطين (٢٤ ربيع الآخر ٥٨٣/١١٨٧ م) (٢) ٠

ولد صلاح الدين الأيوبي في شهور سنة ٥٣٢ هـ الموافق ١١٣٧ ـ ١١٣٨ م(٣) بقلعة تكريت ، وكان أبوه أيوب بن شادي والياً بها، حيث اضطر أبوه وعمه الى الرحيل عنها بأمر من شحنتها(٤) بعد ولادته بفترة قريبة جداً ٠(وتذكر المراجع التاريخية أن الترحيل تم في اليوم التالي لولادته) ٠

نشأ صلاح الدين في أسرة من القادة والأمراء وتعلم عن أبيه أيوب براعته في السياسة وشجاعته في الحروب فنشأ متشبعاً بالدهاء السياسي والروح الحربية ، كما تعلم علوم العصر الدينية فحفظ القرآن ودرس الفقه والحديث وتعلم طرائق الخير وفعل المعروف والاجتهاد في أمور الجهاد (٥) ٠



لم يبرز صلاح الدين كشخصية عسكرية وسياسية الا حين ذهب مع عمه أسد الدين شيركوه الى مصر حيث وصلوها في ٢ جمادى الآخر سنة ٥٥٨ هـ الموافق ١١٦٤ م(٦) وكان في السابعة والعشرين من عمره ، وبدت مهارته العسكرية في السنوات التالية حين قام شيركوه بفتح مدينة الاسكندرية في جولته الثانية اليها ٥٦٢ هـ/١١٦٧ م (٧) وترك ابن أخيه صلاح الدين نائباً عنه فيها مع ألف جندي فقط ،واتجه هو على رأس الجزء الأكبر من قواته الى الصعيد (٨) فوقف صلاح الدين موقفاً « قوياً » متماسكاً من ملك بيت المقدس الصليبي الذي حاصره في الاسكندرية وشدد عليه الحصار على الرغم من قلة المؤن والرجال داخل الاسكندرية التي أحبه أهلها وساعدوه في هذا الثبات(٩) واستمر في تماسكه حتى وصل عمه أسد الدين شيركوه بجنده الى الاسكندرية ،فعقد صلحاً مع الصليبيين تم بنتيجته فك الحصار وتبادل الأسرى • وحين دخل شيركوه للمرة الثالثة الى مصر سنحت له الظروف أن يتسلم الوزارة ولقب بالمنصور(١٠) ، لكنه مالبث أن توفي بعد شهرين في ٢٢ جمادى الثانية سنة ٥٦٤ هـ/ آذار ١١٦٩ م فخلفه فيها ابن أخيه صلاح الدين ولقب بالناصر(١١) في عهد الخليفة الفاطمي العاضد بالله •

نهض صلاح الدين بأعباء الوزارة بهمة واقتدار فاستمال الناس بالبذل والعطاء ، واستقرت له القواعد واستتبت الأحوال على أحسن نظام« وهانت عنده الدنيا فملكها وشكر نعمة الله عليه فتاب عن الخمر وأعرض عن أسباب اللهو وتقمص بلباس الجد والاجتهاد وما عاد عنه ولا ازداد الا جداً(١٢) •

وقد أسهم صلاح الدين الأيوبي في اسقاط الدولة الفاطمية بحنكة ودهاء وبشكل تدريجي حتى كانت الجمعة الأولى من المحرم سنة ٥٦٧ هـ / ١٠ ايلول ١١٧١ م حيث أمر بابطال ذكر الخليفة الفاطمي(١٣) العاضد في خطبة الجمعة والاستعاضة عن ذلك بالدعوة للخليفة العباسي وتوفي العاضد بعد ذلك بثلاثة أيام •

لقد اعترى الضعف دولة الفاطميين في أواخر القرن الحادي عشر الميلادي بسبب انقساماتها الداخلية فتقلصت قوتها البحرية وعجز أسطولها عن حماية المدن الساحلية الشامية من هجمات الأساطيل الصليبية ، فلم ينته القرن الحادي عشر الميلادي الا وكان الأوربيون سادة لصقلية وجنوب ايطاليا والأقاليم الساحلية في الشام ، الى جانب تحكمهم في طرق التجارة البحرية بين الشرق والغرب (١٤) •

ولما دالت الدولة الفاطمية وقامت الدولة الأيوبية (١١٧١ ــ ١٢٥٠ م) وانتقلت السلطة الى صلاح الدين بن أيوب مؤسس الدولة الأيوبية ، خص الأسطول بعناية فائقة وأفرد له ديواناً خاصاً وميزانية خاصة « وقد نال الأسطول الأيوبي من النصر المبين ما توج به رأس مصر والاسلام بأكاليل العز والفخار، وسطّره له التاريخ بحروف من ذهب(١٥) •

وكانت البحرية العربية في مصر والشام قد ضعفت تماماً بعد أن استولى الصليبيون على عسقلان وصور وعكا وغيرها من القواعد البحرية في الشام ، وامتدت غاراتهم الى المدن



الساحلية المصرية كالاسكندرية ودمياط وتنيس ورشيد ، ولهذا اهتم الملك الناصر صلاح الدين الأيوبي منذ بداية حكمه باحياء البحرية العربية كسلاح مضاد للعدوان الصليبي ، وقام في سبيل تقويتها بعدة اجراءات واصلاحات جسدت مكانة الاسطول البحري في الفكر العسكري لذلك البطل العظيم •

١ ـ ديوان الاسطول في عهد صلاح الدين :

عندما تولى صلاح الدين السلطة أفرد للاسطول ديواناً خاصاً به أسماه ديوان الاسطول(١٦) بعد أن كان اسمه أيام الفاطميين « ديوان الجهاد أو ديوان العمائر »(١٧) فغير اسمه وعززه تعبيراً عن أهمية الأسطول في خططه وتفكيره ، وولى عليه قائداً من قبله عرف بصاحب الأسطول ، وفي سنة ٥٨٧هـ /١١٩١ م عين صلاح الدين أخاه العادل رئيساً عاماً لديوان الأسطول ، ثم عين العادل بدوره صفي الدين بن شاكر نائباً له في ذلك الديوان(١٨) •

كان ديوان الاسطول هو الديوان المختص بالنفقة على شؤون القوات البحرية من سفن حربية وجند وبحارة وأسلحة ومؤونة بالاضافة الى دور الصناعة التي قامت بأعمال الصيانة اللازمة للاسطول وأمدها بكل ما تحتاج اليه من أخشاب والات •

وكتب صلاح الدين الى ولاة الأعمال المصرية والشامية يأمرهم بتنفيذ طلبات صاحب الاسطول (رئيس الديوان) كلما وصلت اليهم من حيث جمع الرجال للخدمة : « والقول قول صاحب الاسطول وأن لا يمنع من أخذ رجاله وما يحتاج اليه » •

وخصص صلاح الدين لديوان الاسطول متحصلات اقليم الفيوم وحبس الجيوش وخراج السنط وحصيلة النطرون التي بلغت اذ ذاك ٨ آلاف دينار ، وذلك فضلا عن متحصل الزكاة وقدره أكثر من ٥٠ ألف دينار ، وأجرة المراكب الديوانية بالاضافة الى المخصصات الأخرى(٢٠) •

٢ ـ الدفاع الساحلي في خطط صلاح الدين :

الدفاع الساحلي هو جزء من منظومة الدفاع عن ساحل الدولة ومياهها الاقليمية ، ويشكل ترساً واقياً في وجه الغزاة القادمين من البحر •

وقد اهتم صلاح الدين بتقوية أجهزة الدفاع والحراسة الساحلية كالرباطات والمحارس والمناور والمناظر الممتدة على طول سواحل مصر والشام فحشد فيها الأجناد البطالين(٢١) والأيزاك (٢٢) والأبدال(٢٣) والمنورين للمرابطة فيها وحراستها وقد أصدر مرسوماً بهذا المعنى (هو بمثابة توجيه عملياتي) جاء فيه (ان مرسومنا الشريف اقتضى الاجتهاد في حفظ السواحل والموانيء والاهتمام بأمرها واقامة الأيزاك في أوقاتها على العادة) والزام أربابها بمواظبتها وكذلك المنورون بالديدبانات(٢٤) والمناظر والمناور في الأماكن المعروفة وتعهد أحوالها •• »(٢٥)•



وكان على المنورين اذا ما كشفوا عدواً في البحر مقبلا من بعيد أن يشعلوا النار على قمم المناور أو المنائر اذا كان الوقت ليلا أو أثاروا فيها الدخان اذا كان الوقت نهاراً ، هذا الى جانب استخدام الطبل والنفير لتحذير أهالي المدن المجاورة من غارة العدو • وكثيراً ما استعمل المنورون اشارات نارية أو دخانية بطرق أو حركات معينة للاخبار عن حالة العدو أو عدده أو جنسيته أو غير ذلك ، مع أن المراجع لم تشرح لنا طريقة ارسال هذه الاشارات(٢٦) • وبهذه الطريقة التي تشبه صفارات الانذار في وقتنا الحاضر كان من الممكن ابلاغ القاهرة عن وقوع غارة بحرية في أقصى شمال الشام في ليلة واحدة أو نهار واحد(٢٧) •

وقد عمل صلاح الدين على تحصين الثغور المصرية المطلة على البحر المتوسط مثل الاسكندرية ودمياط وتنيس ، فأمر بعمارة أسوارها وأبراجها وحفر الخنادق حولها ، وحرص على تفقد سير العمل فيها بنفسه ، فزار دمياط يومين متفقداً حصونها(٢٨) ، وكذلك أمر باخلاء مدينة تنيس المجاورة لها واعادة بناء أسوارها ولم يترك فيها سوى المقاتلة فقط(٢٩) •

أما اسوار الاسكندرية فكان البدء في عمارتها وتجديدها سنة ٥٦٦ هـ/١١٧١ م حينما كان صلاح الدين وزيراً للخليفة العاضد الفاطمي ، ثم زارها للمرة الثانية في أوائل سلطته ٥٧٢ هـ/١١٧٦ م عقب زيارته لمدينة دمياط وذلك لمباشرة سير العمل في أسوارها(٣٠) •

وخلال زيارة صلاح الدين الثالثة لمدينة الاسكندرية سنة ٥٧٧ هـ/١١٨١ م عاين خلالها سور المدينة بعد اتمامه ، فكان من أحسن الآثار والمآثر(٣١) ويقال ان صلاح الدين في خلال تلك الزيارة أمر والي المدينة واسمه وقتذاك فخر الدين قراجا بكسر أربعمائة عمود روماني كانت تحيط بعمود السواري (اسم منطقة بالاسكندرية) والقائها عند شاطىء البحر لمنع مراكب العدو من الوصول الى مرساها أو لكسر حدة الأمواج على سور الاسكندرية(٣٢) وهذا النوع من العوائق الهندسية البحرية المعمول به في العصر الحديث •

ولما كانت المدن المصرية في ذلك العصر تعاني غزوات الروم وشدائد حصارهم ، خاصة ما وقع منها على ساحل البحر ، مما اضطرها الى دفع الخطر المتوقع في كل آن بكل ما تيسر من حيلة ووسيلة ، فأقام أصحابها الأسوار المنيعة حولها من طرف البر ومدوا السلاسل الحديد أو المآصر البحرية ذات الأبراج الرصينة في موانئها من طرف البحر فأصبحت الثغور المصرية منيعة لا ترام ولا يوصل اليها •

ولما كانت دمياط والاسكندرية والسويس بمثابة المفاتيح الرئيسة لمصر وأهم ثغورها فقدمت المآصر البحرية عند مداخلها ، ونصبت كذلك في رشيد والبرلس وتنيس والفرما (بور سعيد) •• وغيرها من المدن الساحلية • ويقول المقريزي عن سلسلة ثغر دمياط في أيام صلاح الدين الأيوبي : « ان برج دمياط كان برجاً منيعاً فيه سلاسل من حديد غلاظ تمد على النيل لمنع المراكب الواصلة في البحر الملح من الدخول الى ديار مصر في النيل »(٣٣) •



المآصر : جمع مأصر من أصر يأصره أصراء أي حبسه ، والموضع مأصر وهو محبس السفينة بمعنى الحاجز · (راجع أساس البلاغة للزمخشري ،ج١ص١٤والقاموس المحيط ج١ ص ٣٦١ ، الفيروزابادي ، والأصفهاني :المفردات في غريب القرآن/ص ١٧) ·

والمآصر البحرية : سلاسل حديدية ضخمة كانت تعترض الميناء فتحده من جهة البحر وكان يرسخ أحد أطرافها في صخرة مرتفعة مشرفة على جانب الميناء ، ويربط طرفها الآخر بقفل محكم الصنع يوضع داخل برج مطل على الميناء من جهته الثانية · ويجلس في البرج شخص يطلق عليه اسم صاحب القفل عنده الأمر والنهي في خروج السفن من الميناء ودخولها اليه فيعمل على رفع السلسلة أو خفضها(٣٤) ·

وقد استخدمت هذه المآصر (السلاسل) في الحرب العالمية الأولى والحرب العالمية الثانية ، كما استعملها البيزنطيون في القرن الذهبي أثناء هجوم السلطان محمد الفاتح ، وما زالت تستخدم في بعض الدول في العصر الحديث ·

وهكذا نجد أن صلاح الدين قد استهدف تقوية الدفاع الساحلي في مرحلة تقوية الأسطول بعد الضعف الذي اعتراه في أواخر العهد الفاطمي وحتى لا يفرض عليه العدو معارك بحرية قبل تجهيز أسطوله ·

٣ ـ الجهاد البحري في فكر صلاح الدين :

ترادف معنى كلمتي القتال والجهاد في آيات القرآن الكريم : « وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم..سورة البقرة ١٩٠ »و« انفروا خفافاً وثقالا وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله ··· التوبة ٤١ » والجهاد بالنفس في الآية الكريمة مرادف للقتال في سبيل الله ·

وقد ذهب ابن خلدون الى اعتبار القتال في البحر جهاداً في أكثر من موضع في بند « قيادة الأساطيل » المقدمة·« ··· وتكررت ممارستهم للبحر وثقافته ، واستحدثوا بصراءبها فشرهوا الى الجهاد فيه وأنشأوا السفن والشواني وشحنوا الأساطيل بالرجال والسلاح وأمطَوْها العساكر المقاتلة لمن وراء البحر من أمم الكفر ··»(٣٥).

وقد عمل صلاح الدين الأيوبي على بث روح الحرب والجهاد في نفوس المسلمين وجعل الأسطول البحري من أدواته الرئيسة في جهاده ضد الغزاة الصليبيين ·

ويورد بهاء الدين بن شداد حديثاً لصلاح الدين عن الجهاد البحري : « انه متى يسر الله فتح بقية السواحل قسمت البلاد وأوصيت وودعت وركبت هذا البحر الى جزائرهم أتبعهم فيها حتى لا أبقي على وجه الأرض من يكفر بالله أو أموت ·· »(٣٦) لقد كان الجهاد وحبه له والشغف به قد استولى على قلبه وسائر جوانحه بحيث ما كان له حديث الا فيه ولا نظر الا في آلته ولا اهتمام الا برجاله ولا ميل الا الى من يذكره ويحث عليه(٣٧) ·

وقد ارتبطت الفتوحات البحرية بمبادىء الجهاد في سبيل الله ، وعزوا الى رسول الله ﷺ أنه قال : « ان الجهاد في البحر فيه عشرة أمثال الجهاد في البر(٣٨) »·



٤ ـ السياسة البحرية لصلاح الدين في البحر الأحمر :

أطلق العرب على هذا البحر أسماء مختلفة هي نفس أسماء المدن والبلاد المطلة عليه : بحر القُلزُم(٣٩) (السويس) بحر جده ، بحر عيذاب ، بحر اليمن ، بحر الحجاز ، بحر فرعون (تعبيراً عن قصة غرق فرعون ملك مصر في هذا البحر أثناء مطاردته للنبي موسى الكليم عليه السلام) أما قدماء المصريين فكانوا يطلقون عليه : الأخضر العظيم .

وحينما ولي صلاح الدين حكم مصر سنة ٥٦٤ هـ/١١٦٩ م وجه عنايته نحو حماية البحر الأحمر وتجارته وحجاجه والأماكن المقدسة المطلة عليه من خطر المستعمر الصليبي الذي كان يحتل سواحل الشام وفلسطين .

اعتمد صلاح الدين في تنفيذ تلك السياسة على أسطوله البحري ، فعمل على تقويته مستغلا في بنائه أخشاب السنط التي كانت تنمو بكثرة في وادي النيل وصحراء سيناء .

وفي سنة ٥٦٦ هـ/١١٧٠ م عزم صلاح الدين على احتلال قلعة أيله° (في العقبة) التي تقع على باب البحر الأحمر ومداخله ، وكانت بأيدي الصليبيين ، فعمر لها المراكب الحربية في دور صناعة مصر (الفسطاط) ثم نقل أجزاءها وأخشابها مفككة على الجمال الى ساحل البحر الأحمر حيث تم تركيبها وشحنها بالرجال والآلات ومن هناك « هاجم القلعة المذكورة وفتحها واستباح بالقتل والأسر أهلها وملأها بالعَدد والعُدد وحصنها بأهل الجلاد لأنها في ممر حجاج مصر (٤٠) .

وبعد سنوات قليلة من فتح أيله أرسل صلاح الدين حملة بقيادة أخيه تورانشاه احتلت اليمن سنة ٥٦٩ هـ/١١٧٣ م ثم بسط نفوذه على الحجاز وصار يدعى له على منابر مكة . وكان هدف صلاح الدين من هذا التدخل في البلاد المطلة على البحر الأحمر جنوباً وشمالا هو : « السيطرة على مداخل هذا البحر وحماية تجارته وحجاجه من الخطر الصليبي المرابط في سيناء وجنوب فلسطين . »

وفي سنة ٥٧٨ هـ/١١٨٢ م حاول الأمير الصليبي أرناط(٤١) (كما عرف في المصادر العربية) Renaud de chatillon صاحب حصن الكرك جنوب فلسطين مهاجمة مكة والمدينة عن طريق البحر « فبنى سفناً حربية حملها على جمال الأعراب المجاورين بكراء اتفق معهم عليه ، فلما بلغ ساحل البحر أكمل انشاءها وتأليفها ودفعها الى البحر ، ثم أوقف منها مركبين عند قلعة أيله لمنع أهلها من استقاء الماء ، بينما سارت بقية السفن جنوباً نحو عيذاب ، فقتلوا وأسروا وأحرقوا في البحر نحو ستة عشر مركباً وأخذوا بعيذاب مركباً قادماً بالحجاج من جدة وأخذوا في الأسر قافلة كبيرة من الحجاج بين قوص وعيذاب وقتلوا الجميع وأخذوا مركبين فيهما بضائع جاءت من اليمن واستولوا على أطعمة كثيرة من الساحل كانت معدة لميرة الحرمين ، وأحدثوا حوادث لم يسمع في الاسلام بمثلها ولا وصل قبلهم رومي الى ذلك الموقع ، فانه لم يبق بينهم وبين المدينة النبوية سوى مسيرة يوم واحد ... ثم مضوا الى الحجاز يريدون دخول مدينة الرسول واخراجه من الضريح المقدس وأشاعوا في ذلك



وأجروا ذكره على ألسنتهم(٤٢) ، فلما وصل الخبر الى مصر وبها الملك العادل نائباً عن أخيه صلاح الدين أمر الحاجب حسام الدين لؤلؤ(٤٣) فعمر المراكب بمصر وسار بها براً الى القلزم حيث أنزلها في البحر هناك وشحنها بالرجال ذوي الخبرة والتجربة من أهل الدين والحمية، مع أنجاد من المغاربة البحريين(٤٤) وسار الى أيله فظفر بالمركب الفرنجي عندها فخرق السفينة وأخذ جندها ثم عدى الى عيذاب ، وشاهد بأهلها العذاب ودلوه على مراكب العدو فتبعها فوقع بها بعد أيام فأوقع بها وواقعها وأطلق المأسورين من التجار ورد عليهم ما أخذ لهم ثم صعد الى البر فوجد أعراباً قد نزلوا منه شعاباً ، فركب خيلهم وراء الهاربين وكانوا في أرض تلك الطرق ضاربين ، فحصرهم في شعب لا ماء فيه ، وأسرهم بأسرهم وكان ذلك في أشهر الحج فساق منهم أسيرين الى منى كما يساق الهدي ونحرهما بها كما تنحر البدن وعادا الى القاهرة بالأسرى في ذي الحجة ٥٧٨هـ/١١٨٢ م(٤٥) ٠

وقد أثار هذا التدخل الصليبي في البحر الأحمر انتباه سلاطين الأيوبيين (والمماليك من بعدهم) الى ميناء عيذاب فازداد اهتمامهم به وبالمنطقة عموماً ٠

٥ ـ السياسة البحرية لصلاح الدين في البحر الأبيض المتوسط :

عند قيام الدولة الأيوبية على أنقاض الدولة الفاطمية ، كان الصليبيون قد استولوا على عسقلان وصور وعكا وغيرها من القواعد البحرية الواقعة على ساحل البحر المتوسط ، الأمر الذي دفع بالسلطان صلاح الدين الى احياء البحرية العربية لمواجهة العدوان الصليبي ، واتخذ اجراءات كثيرة في هذا المجال منها :ديوان الاسطول وزيادة رواتب البحارة وتخصيص الأموال اللازمة للإسطول وتنشيط دور الصناعة لبناء المزيد من السفن وتقوية الثغور وأجهزة الدفاع والحراسة الساحلية وبث روح الحرب والجهاد المقدس في نفوس المسلمين وحصر نقل السلاح والعتاد ، اذ منع الأهالي والتجار من التعامل مع الفرنجة في المواد الحربية وأصدر مرسوماً في هذا الصدد جاء فيه : « ٠٠ واقتضى مرسومنا الشريف أن لا يمكن أحد من نقل سلاح ولا عدة الى جهة البلاد الرومية ٠ ومرسومنا للمقر الكريم أن يتقدم أمره العالي بأن لا يمكن أحد من نقل سلاح ولا عدة الى جهة البلاد المذكورة ، والاحتراز على ذلك كل الاحتراز فيحيط علمه بذلك ٠ »(٤٦) ٠

وبعد عشر سنوات قضاها الأسطول الأيوبي في الاعداد والتدريب قام بعدة عمليات ناجحة ضد العدو في مياه البحر المتوسط وهي:

آ ـ الغارة على السواحل البيزنطية (٥٧٥ هـ/١١٧٩ م)

يصفها القاضي الفاضل بأنها كانت غارة لستين شنياً(٤٧) أغارت على سواحل الامبراطورية البيزنطية وعلى الامارات الصليبية بساحل الشام ، حيث هبط المجاهدون المسلمون وتوغلوا في داخل أراضيها وأسروا فيها ما يقرب من الألف أسير « أحضروهم قيد الاسار وغنمت من هذه الغزوة أقوام كانت أعينهم لا تعرف عين الدرهم ولا وجه الدينار(٤٤) ٠



ب ـ معركة بحرية قرب الاسكندرية :

كانت معركة بحرية مع سفن العدو ظفرمنهـا الأسطول العربي ببطستين(٤٩) كبيرتين استولى عليهما وقادهما الى الاسكندرية مستصحباً ألف رأس من السبي(٥٠) • وقد حدث هـذا النصـر في الوقت الذي انتصرت فيـه جيوش صلاح الدين بالبر عند« مرج عيون » بنواحي مدينة بانياس على الساحل الشامي • وفي ذلك يقول القاضي الفاضل : « فما أقرب ما بين النصرين في المصرين ، وما أعذب عذاب الفئتين ، وتجريعهما الأمرين ، لقد عم النصر وتساوى فيه البر والبحر »(٥١) ، اذ أنه في شهر آذار ١١٧٨ م/٥٧٣ هـ سار صلاح الدين قاصداً « سوريا » فنزل دمشق وتنقل مـن بلد لآخر ونازل الصليبيين في حماة وانتصر عليهم في شهر آب ١١٧٨ م وفي ٩ حزيران عام ١١٧٩ علم صلاح الدين أن الصليبيـين قد خرجـوا الى الحرب فالتقى بهم وتقاتلوا قتالا شديـداً في موقعة مرج عيون وانتصـر المسلمون علـى الصليبيين وأسرت فرسانهم وانهزم رجالهـم وبلغ عـدد الأسرى ٢٧٠ ونيفاً عرضوا علـى صلاح الدين فأمر بنقلهم الى دمشق ، وكان عدد الصليبيين عشرة آلاف فارس وانهزم ملكهم جريحاً(٥٢) •

ج ـ هجوم الأسطول العربي على عكا (١٤ تشرين أول ١١٧٩ م) :

يعتبر القاضي الفاضل مينـاء عكـا قسطنطينية الفرنج • فتحرك الأسطول العربي من مصر لغزو فلسطين ، التي اعتصم فيهـا الصليبيون (بعد أن احتلوا موانيها في أواخر العهد الفاطمي) ومنازلة أساطيلهم على متن البحار ، وكانت قوة الأسطول الأيوبي قد زادت في تلك السنة واستخدم فيه بحارة مـن بلاد المغرب ممن سبق لهم غزو الفرنج • وفي يوم ١٤ تشرين أول ١١٧٩ م / ١١ جمادى الأولى ٥٧٥ هـ وصل الأسطول المصري الى ميناء عكا الذي كان يعج بسفن الصليبيـين ومراكبهـم التجارية فاستولى الأسطول الأيوبي على عـدة منها تحطيماً وتكسيراً وأخلى الميناء من الباقي مدة يومين « وهذا ما لم يقم به أسطول مثله في سالف الدهر ، ولا في حالة قوة اسلام ولا في ضعف كفر(٥٣) ومما يذكر أن عساكر الأسطول قتلوا بعض رجال قلعة عكا رمياً بالسهام مـن بعد كبير ، وهذا دليل على الكفاءة العالية في الرماية والقتال •

د ـ الهجوم على جزيرة أرواد في سنة ٥٧٦ هـ/١١٨٠ م :

هاجم الأسطول الأيوبي في مصر جزيرة أرواد واستولى عليها ، ومن هناك صار يغير على مدينة انطرطوس (طرطوس) المواجهـة لها فخرب مبانيها وأشعل النار فيها (٥٤) •

هـ ـ في عام ٥٧٧ هـ/١١٨٠ م ظفر الأسطول العربي الأيوبي ببطسة عظيمة من سفن العدو كانت قادمة من ايطاليا وتحتوي علـى ألفين وخمسماية نفس مـن رجـال القـوم وأبطالهم (٥٥) ، وهذا يمثل من وجهة نظر فن الحرب (قطـع خطوط المواصلات البحريـة المعادية) •

و ـ في سنة ٥٧٨ هـ / ١١٨٢ م أصدر صلاح الدين أوامر الى الاسطول المصري بالذهاب الى بيروت فاقلع اليها ونازلها وأغار عليها ، وسار صلاح الدين فوافاه اليها وضرب الحصار حولها براً وبحراً عدة أيام • وبينما هو كذلك تلقى نبأ نزول جمع من الفرنج في ميناء دمياط، كما تلقى من مظفر الدين كوكبرى صاحب حران رسالة يطلب فيها سرعة قدومه الى الفرات، فقام صلاح الدين من فوره وسار الى الرها فحاصرها وملكها ثم واصل سيره الى الرقة فملكها ومنها الى نصيبين والموصل وسنجار(٥٦) أما بيروت فلم تسقط في قبضة صلاح الدين الا في السابع من آب ١١٨٧ م / جمادى الأولى ٥٨٣ هـ (٥٧) •

كما قام في نفس العام بغارات على جزيرتي كريت وقبرص والسواحل الجنوبية لآسيا الصغرى ظفر منها بمراكب شحن صليبية كبيرة تحمل أخشاباً الى عكا ومعها نجارون ليبنوا منها شواني للصليبيين فأسر النجارين ومن معهم وهم نيف وسبعون • أما الأخشاب فقد انتفع بها المجاهدون ، وهذه العملية يمكن تصنيفها أيضا كقطع لخطوط مواصلات العدو البحرية•

ز ـ وفي سنة ٥٧٩ هـ /١١٨٣ م ظفر المسلمون ببطسة مقلعة من الشام فيها: «ثلاثمائة وخمسة وسبعون علجاً منهم خيالة ذوو شكة وازعة وتجار أولو ثروة واسعة »(٥٨) •

ان تلك الانتصارات تبين بوضوح أن نشاط الأسطول العربي الأيوبي ضد قوافل العدو وقواعده البحرية في البحر المتوسط خلال السنوات العشر التي سبقت وقعة حطين ، قد عملت على شل حركة امداداته ومواصلاته البحرية مما ساعد على نجاح خطط صلاح الدين في الشام وانتصاره التاريخي في حطين (تموز ١١٨٧م /٥٨٣ هـ) •

٦ ـ موقعة حطين طريق صلاح الدين الى تحرير السواحل والقواعد البحرية الشامية :

كان صلاح الدين خلال تلك المدة يعمل على جمع كلمة العرب وتوحيد الممالك العربية المتفرقة ، واستطاع أخيراً أن يكون جبهة عربية متحدة تمتد من برقة غرباً الى الفرات شرقاً ومن الموصل وحلب شمالا الى النوبة واليمن جنوباً(٥٩) • وقد شرح صلاح الدين سياسته هذه في خطاب أرسله الى الخليفة العباسي المستضيء بالله (١١٧١ـ١١٨٠م الخليفة العباسي ٣٣(٦٠) يقول فيه : « ولو أن أمور الحرب تصلحها الشركة لما عز علينا أن يكون هناك كثير من المشاركين ولا أساءنا أن تكون الدنيا كثيرة المالكين ، وانما أمور الحرب لا تحتمل في التدبير الا الوحدة ، فاذا صح التدبير لم يحتمل في اللقاء الا العدة »(٦١) •

وجدير بالذكر أن الخليفة المذكور احتجب عند ظهور صلاح الدين •

وكانت الخطوة التالية لهذه الوحدة أن يقوم صلاح الدين بهجوم عام على مملكة الصليبيين في بيت المقدس ، فاتجه بجيوشه الى قلعة طبريا فحاصرها وسيطر على آبار المياه المجاورة ، وجعل نهر الأردن وراءه • وكان هدفه من ذلك هو استدراج الجيوش الصليبية من ساحل الشام الى المكان الذي حدده للمعركة وهو تل صخري مجاور ، لا مياه فيه وهو « تل حطين » وعرف في بعض المراجع التاريخية ب « قرون حطين ».

ففي هذا المكان أنزل صلاح الدين بالصليبيين هزيمة فادحة في تموز ١١٨٧ م ٥٨٣ هـ وقتل وأسر منهم عدداً كبيراً حتى قال المؤرخ ابن الأثير : « وكان من يرى القتلى يحسب أن ليس هناك أسرى ومن كان يرى الأسرى يحسب أن ليس هناك قتلى »(٦٢) .

والقد فتح هذا النصر الطريق الى بقية الممتلكات الصليبية واختار صلاح الدين أن يبدأ أولا بالمدن الساحلية ليحرم الصليبيين من قواعدهم البحرية التي تربطهم بالعالم الخارجي وخاصة غرب أوروبا قلب الحركة الصليبية فيصبحوا محصورين داخل بلاد الشام ويسهل القضاء عليهم ، هذا فضلا عن أن استيلاء صلاح الدين على موانيء الشام سيمكنه من تحقيق الاتصال البحري السريع بين شطري دولته في مصر والشام (٦٣) .

والقد نظم صلاح الدين تعاون البحرية المصرية مع الجيوش الشامية على استرداد عكا وقيسارية وبيروت وجبيل وعسقلان وغيرها من الثغور الشامية(٦٤) الساحلية ، كما خرج صلاح الدين من نصر حطين باحراز انتصارات أخرى حرر فيها فلسطين واسترد بيت المقدس في ذكرى ليلة الاسراء والمعراج في ٢٧ رجب ٥٨٣ هـ/١١٨٧ م كما استرد جميع القواعد البحرية الشامية باستثناء صور وطرابلس وانطاكية . وقد عبر صلاح الدين عن هذا النصر بقوله في رسالة الى أخيه تورانشاه باليمن : « وان بلاد الشام اليوم لا تسمع فيها لغواً ولا تأثيماً الا قيلا سلاماً سلاماً . »(٦٥) .

وتجدر الاشارة الى أنه اعتباراً من معركة حطين عادت المبادهة الاستراتيجية الى جانب العرب المسلمين وأخذت كفة فن الحرب الاسلامي ترجح على الفن الصليبي حتى تفوق عليه وزال الخطر الصليبي .

٧ ـ الصراع البحري للسلطان صلاح الدين مع الغزاة الصليبيين بعد تحرير القدس :

آ ـ أحدث تحرير بيت المقدس وضياع معظم الممتلكات الصليبية رد فعل قوي في غرب أوروبا ، اذ أخذت البابوية تبشر بحملة صليبية جديدة وتحض الملوك والحكام على فض منازعاتهم الداخلية والاشتراك في هذه الحملة . وقد لبى الدعوة ثلاثة من كبار ملوك غرب أوروبا وهم فردريك بربروسا امبراطور ألمانيا وريتشارد(٦٦) قلب الأسد ملك انكلترا وفيليب الثاني ملك فرنسا ، وعرفت هذه الحملة بالحملة الصليبية الثالثة وامتدت ثلاث سنوات (١١٨٩ ـ ١١٩٢ م) وتعتبر من أكبر الحملات الصليبية في عدد جيوشها وأساطيلها(٦٧) .

وقد بلغت أخبار الاستعدادات لهذه الحملة مسامع صلاح الدين ، ونصحه بعض رجاله بتخريب عكا وتدمير أسوارها واقامة عدد من المرابطين مكانها لخطورة موقعها على المسلمين اذا ما تملكها الصليبيون ، غير أن صلاح الدين كان لا يميل الى تخريب المدن العامرة(٦٨) وفضل أن يزيد في استحكامات عكا ووسائل الدفاع عنها واختار لهذا الأمر الأمير بهاء الدين قراقوش الأسدي الذي سبق أن أدار السور حول القاهرة وبنى قلعة المقطم « فاستدعاه من مصر هو وأساتيذ العمل وأنفاره ودوابه وآلاته وأبقاره وفوض اليه عمارة عكا وعينه والياً عليها . » كذلك استدعى حامية من جنود مصر للمشاركة في الدفاع عن هذا الثغر(٦٩) الهام .



ب ـ حصار عكا :

أخذت حشود الصليبيين وأساطيلهم تنزل تباعاً على عكا في سنة ٥٨٥ هـ / ١١٨٩ م ويقدر عدد سفنهم بما لا يقل عن ٥٥٢ سفينة من مختلف البلاد الأوروبية ، وهذا العدد كان يزيد بكثير على ما كان عند صلاح الدين من سفن حربية • وقد اعترف صلاح الدين بهذا التفوق البحري للعدو في بعض رسائله مثل قوله : « ومن خبر الكفار أنهم الآن على عكا يمدهم البحر بمراكب أكثر عدة من أمواجه ،ويخرج للمسلمين منهم أمرّ من أجاجه ••• فاذا قتل المسلمون واحداً في البر بعث البحر عوضاً عنه ألفاً • »(٧٠) •

على أن صلاح الدين لم يقف ساكناً حتى تكتمل تجمعات العدو حول عكا بل سارع في مهاجمته ، واستطاع فتح الطريق الى المدينة لامدادها بالمؤن والأسلحة والرجال ، كما رتب اليزك الدائم (الحرس) لمنع العدو من الخروج من خيامه فانحصر فيها بحيث صار لايخرج منها أحد الا يقتل أو يجرح(٧١) •

وأظهرت حامية المدينة تحت قيادة قراقوش بطولة وشجاعة تسترعي الانتباه واستمر الوضع على هذا النحو والقتال دائر على عكا الى أن كثرت جثث القتلى وجيف الدواب من الجانبين ، وقد أفاد الصليبيون من هذا الانسحاب اذ تمكنوا من اطباق الحصار حول المدينة وقطع الطريق اليها(٧٢) •

وهنا نجد البحرية العربية تتحمل عبء الاتصال بحامية المدينة من جهة البحر وامدادها بالمؤن والأموال والذخائر والرسائل وغير ذلك • ويرى أبو شامة أن السلطان صلاح الدين استدعى الأسطول المصري في أواخر ٥٨٥ هـ/١١٨٩م فقدمت خمسون قطعة بقيادة أمير البحر حسام الدين لؤلؤ الذي فاجأ مراكب العدو في مياه عكا وانتصر عليها وبدد شملها وظفر منها بمركبي شحن مملوءتين بالغلال والأموال والرجال ، كما أمد حامية المدينة بما تحتاج اليه من طعام وسلاح(٧٣) •

ويروي سيد علي الحريري بعض التفاصيل عن ذلك القتال فيقول : « وكان صلاح الدين قد ركب في العساكر جميعها وقاتلهم من كل جهة لينشغلوا بقتاله عن قتال الأسطول فيتمكن من دخول عكا فلم ينشغلوا وخرج أسطولهم ، وكانت الناس قد خرجت على جانب البحر تقوية للاسطول وايناساً له ولرجاله •وقد التقى الأسطولان في البحر والعسكران (يقصد الجيشين) في البر واضطرمت نار الحرب واستمرت وباع كل فريق نفسه ودار قتال شديد انجلى عن نصرة الأسطول المصري بعد أخذ مركب منه وقتل من كان بأسطول الصليبيين ونهب ما فيه ودخل الأسطول المصري عكا وكان قد صحبته مراكب من الساحل فيها ميرة وذخيرة •• »(٧٤) وطابت قلوب أهل البلد بذلك •

على أن هذه الميرة لم تلبث أن نفدت بعد قليل مما اضطر الأمير بهاء الدين قراقوش والي المدينة الى الاستنجاد بصلاح الدين من جديد(٧٥) واستمر الاسطول المصري يشق طريقه بنجاح الى عكا حاملا اليها مختلف الامدادات • وقد اتخذ من ميناء حيفا في جنوبها



مأوى يختبىء فيه اذا ما اشتد خطر الفرنـج في البحر ، وكثيراً ما ارتطمت بعض سفنـه بصخور الشاطىء بسبب هيجان البحر في فصل الشتاء وقد اضطر الملـك العادل أن يرابط بجيوشه عند ميناء حيفا للاشراف على السفن القادمة من مصر في طريقها الى عكا(٧٦) ٠

أما في شمال عكا فكانت مدينة بيروت قاعدة الأسطول الشامي ، وكان يوجد على سواحلها في مكان يسمى الزيب أو الزئب طائفة من المسلمين يجهزون السفن الداخلة الى عكا ويقطعون الطريق على الفرنج ، وكان لأمير بيروت في ذلك الوقت واسمه عز الدين سامة غزوات كثيرة في البحر ضد مراكب العدو المارة ببيروت في طريقها الى عكا ، فغنم هو ورجاله مغانم كثيرة ، ويؤثر عنه أنه استولى على خمس سفن من أسـطول ملك انكلترا ريتشارد قلب الأسد كانت مملوءة خيلا ورجالا ونساء وأموالا ٠(٧٧)

وكان السلطان صلاح الدين « قد أمر نواب الاسكندرية بتجهيز سفن كبار وتعميرها بالغلال والأقوات وتسيرها الى عكا ولكنها أبطأت عن الموعد المطلوب مما أضر بالمقيمين بمدينة عكا ٠ وفكر صلاح الدين فيما يتعجل به الغرض فكتب الى متولي بيروت عز الدين سامة ،فجهز بطسة كبيرة ملأها ميرة وغلة كثيرة وأركبهـا جماعـة على زي الفرنـج ممسوحي اللحـي وأصحبهم صلباناً وخيل بهم رهباناً ، وكانت هذه البطسة من الفرنج مأخوذة وهي بساحل بيروت منبوذة ، فأمر السلطان صلاح الديـن بترميمها وتتميمها ، فملئت بالشحوم واللحوم وأربعمائة غرارة وأحمال من النشاب والنفط ورتب فيها رجال مسلمون ونصارى من أهـل بيروت وأرادوا أن تتشبه ببطس العدو في البحر، فشدوا زنانير واستصحبوا خنازير وساروا بها في البحر بمراكب الفرنج مختلطين ، الى محادثتهم ومجاذبتهم منبسطين(٧٨) ٠

ويذكر ابن شداد :(٧٩) « واعترضهم في الحراقات (يقصد سفن الصليبيين وقالوا : « تراكم قاصدين البلد ٠ » واعتقدوا أنهم منهم فقالوا : « ولم تكونوا قد أخذتم البلـد ؟ » فقالوا : « لا لم نأخذ البلد بعد » فقالـوا :« نحن نرد القلوع الى العسكر ووراءنا بطسة أخرى في هوائنا ، فأنذروهم حتى لا يدخلوا البلد ، وكان وراءهم بطسة فرنجية قد اتفقت معهم قاصديـن المعسكـر ، فنظروا فرأوهـا فقصدوها لينذروها، فاشتدت البطسة الاسلامية في السير واستقامت لها الريح حتى دخلت الميناء وكان ذلك في العشـر الأخير مـن شهر رجب ٥٨٦هـ » (٨٠)٠ بذل صلاح الدين كل مابوسعه لانقاذ عكا فأرسل في سنة ٥٨٦ هـ/١١٩٠ م سفيراً من قبله هو الأمير عبدالرحمن بن منقذ الى خليفة المغرب يعقوب المنصور الموحدي يطلب اعانته بالأساطيل البحرية لتحول بين أساطيل الأعداء وبين امداد أساطيلهم في الشام ٠وعلى الرغم مما قيل من أن المنصور رفض هذا الطلب لأن صلاح الدين لم يلقبه في رسالته بلقب أمير المؤمنين(٨١) أي لم يعترف بخلافة الموحدين ،فقد ذهب بعض المؤرخين المغاربة الى أن المنصور قد أرسل لصلاح الدين مئة وثمانين سفينـة حربية لمنع الصليبيين من سواحل الشام(٨٢) وكيفما كان الأمر فانه يلاحظ أن أساطيـل الموحدين في ذلك الوقت كانت هي الأخرى تجابه أخطاراً جسيمة في مياه المحيط الأطلسي غربي الأندلس ، حيث كانت أساطيل الألمان والانكليز والفلمنك (سكان الأراضي الهولندية) المتجهة الى الشام، كثيراً ماترسو في الموانىء البرتغالية

وتعاون ملك البرتغال سانشو الأول في مهاجمة جيرانه المسلمين في غرب الأندلس لهذا كان على على أسطول الموحدين أن يعمل على حماية هذه الأطراف المغربية الاسلامية من هـذا الخطـر الصليبي(٨٣) ·

وفي أوائل سنة ١١٩١ م اشتد ضغط الصليبيين على عكا وعظمت شكاية حامية المدينة من طول المقام بها ومعاناة التعب والسهر وملازمة القتال ليلا ونهاراً ، وقرر صلاح الدين تجديد حامية المدينة بواسطة أسطوله (أي تبديل القوات أو تبديل المناوبة القتالية في الظروف الحديثة) ·

الا أن هذه العملية لم تتم بنجاح بسبب صعوبة الظروف التي تمت فيها وتكالب العدو على المدينة من كل ناحية · ويعلق كل من ابن الأثير وأبي شامه على ذلك بقوله : ودخل اليها عشرون أميراً عوض ستين ، فكان الذين دخلوا قليلا بالنسبة الى الذين خرجوا ، فلا جرم ان وقع الوهن وقضي الأمر »(٨٤) ·

ويذكر ابن شداد في هذا المجال تحت عنوان ادخال البدل الى البلد : « ولما هاج البحر وأمنت غائلة مراكب العدو ورفع ما كان له في البحر من الشواني الى البر ، اشتغل السلطان ـ رحمة الله عليه ـ في ادخال البدل الى عكا ،وحمل الميرة والذخائر والنفقات والعدد اليها واخراج من كان بها من الأمراء لعظم شكايتهم من طول المقام بهـا ومعاناة التعب والسهر ، وملازمة القتال ليلا ونهاراً ، فكان مقدم البدل الداخل من الأمراء هو الأمير سيف الدين علي المشطوب ، دخل في يوم الأربعاء السادس عشر المحرم من شهور سنة ٥٨٧ هـ وفي ذلك اليوم خرج المقـدم الذي كان بها وهو الأمير حسام الدين أبو الهيجاء وأصحابه ومن كان بها من الأمراء ودخل مع المشطوب خلق مـن الأمراء وأعيان من الخلق ، وتقدم الى كل من دخل أن يصحب معه ميرة سنة كاملة ··)(٨٥) ·

هذا وقد زاد الموقف حرجاً احتلال ملك انكلترا ريتشارد لجزيرة قبرص مـن أيـدي البيزنطيين في نفس تلك السنة ١١٩١ م ومن ثم صارت قبرص قاعدة بحرية جديدة للصليبيين ومركزاً دائماً لتموين اماراتهم في الشرق العربي ·

وقد أثار هـذا الحادث موجة من الفرح والحماسة في نفوس الصليبيين فشددوا هجماتهم على عكا واضطرت حامية المدينة أن توجه آخر نداء بالحمام الزاجل الى صلاح الدين يقولون فيه : « اننا قد بلغ منا العجز الى غاية ما بعدها الا التسليم ، ونحن في الغد ثامن الشهر (جمادى الأولى سنة ٥٨٧ هـ/١١٩١ م ان لم تعملـوا شيئاً نطلب الأمان ونسلم البلد(٨٦) ·

ولم تنجح جميع المحاولات العسكرية التي بذلها صلاح الدين لانقاذ عكا فاضطـر قائدها قراقوش الى الاستسلام في تموز ١١٩١م بعد مقاومة دامت سنتين تقريباً ·

ج ـ ثم واصل الملك ريتشارد زحفه جنوباً بحذاء الساحل وأساطيلـه تسير بجواره في البحر واستطاع أن يستولي على فلسطين من عكا الى يافا ثم انحـدر جنوباً نحو عسقـلان وخشي صلاح الديـن على مصر مـن أطماع الصليبيين خصوصاً وأن ملك انكلترا ريتشارد

قد صرح بذلك مراراً وحصل على كثير من الجمال والظهر لهذا الغرض(٨٧) ٠ واضطر صلاح الدين الى تخريب عسقلان فحرم الصليبيين من هذه القاعدة البحرية التي كان من الممكن استغلالها في مهاجمة مصر ومثلما فعلوا بعد سقوطها في أيديهم من قبل سنة ١١٥٣ على عهد الفاطميين ٠ وهكذا استطاع صلاح الدين أن يحتفظ بمفتاح المسالك الشرقية المؤدية الى مصر(٨٨) ٠

د ـ وحاول ريتشارد قلب الأسد أن يسترجع بيت المقدس ولكنه فشل تماماً واضطر أن يعقد « صلح الرملة » مع صلاح الدين في تشرين الثاني ١١٩٢ م/٥٨٨ هـ وأهم شروطه أن يحتفظ الصليبيون بالمدن الساحلية من صور الى يافا ويبقى بيت المقدس تحت الحكم الإسلامي(٨٩) ٠

وقام صلاح الدين عقب هذه الهدنة بالعمل على خلاص أصحابه من الأسر ومنهم بهاء الدين قراقوش والي عكا ثم تفقد الثغور الشامية فزار صيدا وبيروت وعاد الى دمشق حيث وافته المنية في سنة ٥٨٩ هـ/١١٩٣ م ودفن هناك ومعه سيفه الذي كان معه في الجهاد ليتوكأ عليه الى الجنة(٩٠) ٠

هـ البطولات البحرية العربية خلال معارك عكا :

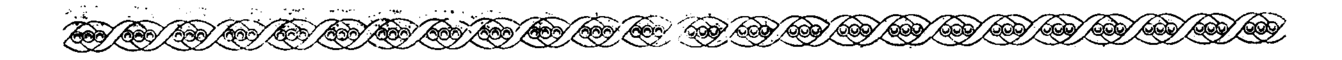
ظهرت خلال معارك عكا بطولات عديدة نذكر منها :

بطولات الضفدع البشري عيسى العوام :

كان يشد على وسطه الرسائل والذهب ثم يغوص ليلا في البحر على غرة من العدو ويخرج من الجانب الآخر من مراكب العدو ، ويدخل عكا حيث يسلم الرسائل الى رجال الحامية بينما كان الذهب يصرف نفقة للمجاهدين ٠ وقد ذكر ابن شداد : « ومن نوادر هذه الواقعة ومحاسنها أن عواماً مسلماً كان يقال له عيسى وكان يدخل الى البلد بالكتب والنفقات على وسطه ليلا ، على غرة من العدو وكان يغوص ويخرج من الجانب الآخر من مراكب العدو وكان ذات ليلة شد على وسطه ثلاثة أكياس فيها ألف دينار وكتب للعسكر وعام في البحر فجرى عليه أمر أهلكه وأبطأ خبره عنا ، وكانت عادته أنه اذا دخل البلد طار طير عرفنا بوصوله ، فأبطأ الطير ، فاستشعر الناس بهلاكه ٠ ولما كان بعد أيام بينما الناس على طرف البحر في البلد ، واذا البحر قد قذف اليهم ميتاً غريقاً فافتقدوه فوجدوه عيسى العوام ووجدوا على وسطه الذهب وشمع الكتب ، وكان الذهب نفقة للمجاهدين ، فما رؤي من أدى الأمانة في حال حياته وقد أداها بعد وفاته الا هذا الرجل ، وكان ذلك في العشر الأخير من رجب ٥٨٦ هـ »(٩١) ٠

بطولة الأمير مجاهد جمال الدين :

تخلفت سفينة الأمير مجاهد جمال الدين محمد بن أركز عن بقية الأسطول المصري فأحاطت بها مراكب العدو واضطر ملاحوها الى القفز في الماء طالبين النجاة بأنفسهم بينما



ظل أميرهم يقاتل ويقاوم ، فعرض عليه الصليبيون الأمان إذا استسلم لهم فقال : « ما أضع يدي الا في يد مقدمكم الكبير ، فلا يخاطر الخطير الا مع الخطير . »فجاء اليه المقدم وظن أنه قد حصل له الأسير ، فعاقره وعانقه وقوي عليه وما فارقه ، ووقعا في البحر وغرقا وترافقا ، وعلى طريق الجنة والنار افترقا »(٩٢) .

بطولة يعقوب الحلبي :

خرج يعقوب الحلبي من بيروت على رأس سفينة كبيرة (بطسه) مشحونة بالآلات والميرة والرجال لامداد حامية عكا فاعترضه ملك انكلترا ريتشارد قلب الأسد وحاصره بسفنه التي كانت تبلغ الأربعين قطعة فقاتلهم المسلمون قتالا عنيفاً وأحرقوا لهم سفينة كبيرة غرقت بما فيها ولما تكاثر العدو على سفينة المسلمين وكاد أن يستولي عليها قال المقدم يعقوب : « والله لا نقتل الا عن عز ولا نسلم اليهم من هذه البطسة شيئاً . » ثم حطموا جوانب البطسة بالمعاول حتى فتحوها فامتلأت ماء وغرق جميع من فيها وما فيها ولم يظفر العدو منها بشيء(٩٤) .

وتلقف العدو بعض من كان فيها وأخذوه الى الشواني من البحر وخلصوه من الغرق ومثلوا به وأنفذوه الى البلد ليخبرهم بالوقعة . . . والسلطان يتلقى ذلك بيد الاحتساب في سبيل الله تعالى والصبر على بلائه (٩٥) .

بطولة بحارة البطس العربية القادمة من مصر :

ذكر ابن شداد : « لما كان العشر الأوسط من شعبان ٥٨٦ هـ كتب بهاء الدين قراقوش وهو والي البلد ، والمقدم على الأسطول وهو الحاجب لؤلؤ يذكران للسلطان : « لم يبق بالبلد ميرة قدر يكفي البلد الى ليلة النصف من شعبان لاغير » فأسرّها يوسف (يقصد السلطان صلاح الدين) في نفسه ولم يبدها لخاص ولا عام خشية الشيوع والبلوغ الى العدو ، ويضعف به قلوب المسلمين . وكان السلطان قد كتب الى مصر بتجهيز ثلاث بطس مشحونة بالأقوات والادام والمير وجميع مايحتاج اليه في الحصار ، بحيث يكفيهم ذلك طول الشتاء ، وأقلعت البطس الثلاث من الديار المصرية ولججت في البحر تتوخى النوتية بها الريح التي تحملها الى عكا ، فطابت لهم الريح حتى ساروا ووصلوا الى عكا ليلة النصف من شعبان المذكور وقد فنيت الأزواد ولم يبق عندهم ما يطعمون الناس في ذلك اليوم ، وخرج عليها أسطول العدو فقاتلها ، والعساكر الاسلامية تشاهد ذلك من الساحل والناس في تهليل وتكبير ، وقد كشف المسلمون رؤوسهم يبتهلون الى الله تعالى في القضاء بتسليمها الى البلد ، والسلطان رحمه الله على الساحل كالوالدة الثكلى يشاهد القتال ويدعو الى ربه بنصره ، وقد علم من شدة القوم ما لم يعلمه وفي قلبه ما في قلبه والله يثبته ، ولم يزل القتال حول البطس من كل جانب والله يدفع عنها والريح تشتد والأصوات قد ارتفعت من الطائفتين والدعاء يخرق الحجب حتى وصلوا بحمد الله تعالى سالمين الى ميناء البلد ، وتلقاهم أهل عكا تلقي الأمطار عن جدب ، وامتاروا ما فيها ، وكانت ليلة بليال ، وكان دخولها عصر يوم الاثنين رابع عشر شعبان من السنة المذكورة » .



٨ ـ فن الحرب البحرية في معارك صلاح الدين : (٩٤م)

ان دراسة الهجوم على عكا وتحرير السواحل والقواعد الشامية ١١٧٩ م ودراسة حصار عكا وسقوط السواحل الشامية بأيدي الصليبيين ١١٩١ م من وجهة نظر فن الحرب البحرية ومكانة الأسطول البحري في الفكر العسكري للناصر صلاح الدين الأيوبي تقودنا الى الاستنتاجات التالية :

آ ـ لم يكن صلاح الدين يقاتل بشكل عشوائي بل كان يضع مخططاً للقتال ويدرسه بدقة وعناية ثم يتحرك بحسبه (٩٥م) ٠

ب ـ ان عملية الهجوم على عكا ١١٧٩م هي جزء من استراتيجية وضعها صلاح الدين افتتح بها الساحل الشامي ، اذ كانت غايته الأولى فتح بيت المقدس واستعادته من الصليبيين لكنه لم يبدأ بفتحه مباشرة بعد انتصار حطين خشية أن يحرك ويثير الغرب الأوروبي ضده فيفشل بل رأى أن يبدأ بفتح المدن الساحلية فيضمها اليه ويبعد الصليبيين عنها وبذلك يفقد القوات التي تحتل بيت المقدس امكانية وصول امدادات غربية عن طريق البحر ٠ وبفقدان الأمل هذا هو الذي يساعده على فتح بيت المقدس دون اراقة دم أو فقدان أحد من جنوده، وقد أثبت التاريخ بعد نظره الاستراتيجي (٩٦) وهكذا فان التكامل في التخطيط العسكري بين الجبهة البرية والجبهة البحرية قد ساعد على تحرير القدس ، وقد ظهر بعد نظره الاستراتيجي أيضاً في موقعة حطين اذ وضع خطته وفرض على العدو زمن المعركة ومكانها وشروطها ، كما ظهر ذلك في تقوية الدفاع الساحلي في مرحلة تقوية الأسطول ٠

ج ـ قاد صلاح الدين خلال الهجوم على عكا ١١٧٩ م عمليات بحرية مشتركة شارك فيها الأسطول البحري والقوات البرية في عملية مركّبة شملت :

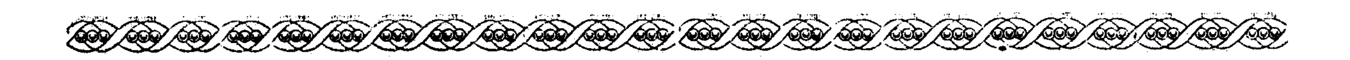
د ـ تدمير قوى العدو البحرية في البحر وهذا نوع من أنواع العمليات البحرية من منظور فن الحرب البحرية الحديثة ٠

هـ ـ اختراق الحصار البحري لتموين القوات المحاصرة ٠

و ـ التعاون بين القوات البحرية والقوات البرية في الأعمال القتالية المشتركة واستدعاء الأسطول البحري لذلك من مصر للتعاون بين مصر والشام في قتال العدو الصليبي ، وهذا تعاون على المستوى الاستراتيجي والعملياتي ٠

ز ـ استخدام الخداع والتمويه في الأعمال القتالية البحرية ٠

ح ـ لجأ صلاح الدين الى تبديل القوات المحاصرة المنهكة بقوات جديدة عن طريق البحر لاستمرار الصمود وهو نوع من تبديل المناوبة القتالية وبالرغم من أن تلك الخطة لم يكتب لها النجاح بسبب الظروف الجوية والعسكرية القاسية ، الا أن ذلك يدل على المستوى العالي في التفكير العسكري لصلاح الدين الأيوبي ٠



ط ـ اعتمد صلاح الدين على شجاعة وتضحية البحرية العربية وعقيدة الجهاد في قتالها ضد عدو يفوقها قوة وكثرة واعتمد في المقاومة على عنصري المفاجأة والحيلة مع صدق العزيمة · وفي هذا الصدد يقول صلاح الدين نفسه في احدى رسائله : « وكان عدد مراكبهم كبيراً ولكن لقيناهم بأصدق منهم عزيمة والقليل مع العزم الصادق كثير · »(٩٧) ·

ط ـ ابتكار مبدأ استخدام الضفادع البشرية للاتصال في حالة الحصار ولاختراق منطقة حشد اسطول العدو ·

ي ـ أثبت صلاح الدين أن الوحدة قوة ، فوحد الصفوف العربية ، وجند لمكاناتها البرية والبحرية والاقتصادية وبث روح الحرب وعقيدة للجهاد فصمد العرب في وجه الأطماع الصليبية ·

☐ خاتمة :

نرى مما تقدم أن الحملة الصليبية الثالثة قد فشلت في تحقيق هدفها الرئيسي وهو استرداد الأماكن المقدسة في فلسطين من المسلمين الا انها في الوقت نفسه استطاعت أن تسيطر على معظم شواطىء الشام بما فيها من موانىء مثل صور وحيفا وقيسارية وأرسوف(٩٨) ويافا فضلا عن عكا التي غدت المنفذ الرئيسي لمملكة بيت المقدس الصليبية على البحر المتوسط(٩٩) الى أن استطاعت دولة المماليك البحرية (١٢٥٠ ـ ١٣٨٢ م) أن تقضي على دولة الصليبيين في الشام وتطردهم منه نهائياً سنة ١٢٩١م(١٠٠) ·

ولا شك أن البحرية العربية قد خسرت كثيراً من جراء ضياع معظم سواحلها وقواعدها الشامية ، وفقد العرب سيطرتهم على البحر المتوسط منذ قيام الحركة الصليبية وتمكنت أوروبا الغربية من السيطرة على سواحل هذا البحر وجزره وتجارته بحيث صار بحراً أوربياً · وقد اعترف ابن خلدون بهذا التحول بقوله : « ·· لما قام صلاح الدين يوسف بن أيوب ملك مصر والشام باسترجاع ثغور الشام تتابعت أساطيلهم بالمدد لتلك الثغور من كل ناحية ، فأمدهم بالعدد والأقوات ولم تقاوم أساطيل الاسكندرية لاستمرار الغلب لهم من ذلك الجانب الشرقي من البحر وتعدد أساطيلهم فيه ، وضعف المسلمين منذ زمن طويل عن ممانعتهم هناك · ولم يكن سلطان الفرنج على غرب البحر المتوسط بأقل منه على شرقه ، فلقد ملكوا الجزائر التي بالجانب الغربي من البحر الرومي وقويت ريحهم في بسط هذا البحر واشتدت شوكتهم وكثرت فيه أساطيلهم ، وتراجعت قوة المسلمين فيه الى المساواة معهم ، ثم تراجعت بعد ذلك قوة المسلمين في الأساطيل لضعف الروم ونسيان عوائد البحر ·· وصار المسلمون فيه كما الأجانب الا قليلا من أهل البلاد الساحلية(١٠١)

وزاد الطين بلة أن وفاة صلاح الدين قد أدت الى وقوع خلافات ومنازعات بين أبناء البيت الأيوبي مما أضعف المقاومة العربية بصورة عامة ·



كان صلاح الدين من الحكام القلائل الذين أدركوا قيمة السلاح البحري في جهاد الصليبيين وتأمين سلامة بلاده(١٠٢) وشكل الجهاد البحري مكانة هامة في استراتيجيته العسكرية التي اعتمدت على العوامل الأساسية التالية :

آ ـ الوحدة العربية والتعاون بين الأقطار العربية في المجالات السياسية والعسكرية والاقتصادية في الصراع مع العدو (القاعدة المادية والبشرية لانطلاقته) .

ب ـ قوة الاسطول البحري والمناورة الاستراتيجية والعملياتية بالقوات والعتاد بين مصر والشام .

ج ـ عقيدة الجهاد الذي استولى على قلبه وسائر جوانحه بحيث ما كان له حديث الا فيه ولا نظر الا في آلته ولا اهتمام الا برجاله ولا ميل الا الى من يذكره(١٠٣) وايمانه بالجهاد البحري الذي وضعه نصب عينيه في أفقه البعيد .

« وبعد صلاح الدين قل الاهتمام بالأسطول وصار لا يفكر في أمره الا عند الحاجة اليه ، فاذا دعت الحاجة الى تجهيزه طلب له الرجال وقبض عليهم من الطرقات وقيدوا بالسلاسل نهاراً وسجنوا في الليل حتى لا يهربوا ، فصارت خدمة الأسطول عاراً يُسبُّ به الرجل بعد ما كان خدام الأسطول يقال لهم : المجاهدون في سبيل الله والغزاة في أعداء الله ، ويتبرك بدعائهم الناس(١٠٤) .

★ ★ ★

□ الحواشي :

١ ـ حول الوظائف الحربية للقلاع الصليبية واشكالها : راجع فن الحرب عند الصليبيين في القرن الثاني عشر (ر. س. سنجل : ترجمة وليد جلاد ص ٢٩٩ ـ ٣٦٤ .

٢ ـ بهاء الدين بن شداد :(النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية) ص ٩٧ (وزارة الثقافة السورية) .

٣ ـ نفسه ص ٩ .

٤ ـ شحنة البلد : من أقامهم الملك لضبطها (الشرطة) .

٥ ـ ابن خلكان : (وفيات الإعيان وأنباء أبناء الزمان) تحقيق الدكتور احسان عباس جزء ٧ ص ١٢٩ .

٦ ـ بهاء الدين بن شداد : (النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية) (وزارة الثقافة) ص ٤٤ .

٧ ـ نفسه ص ٤٦ .

٨ ـ أبو شامة : (تاريخ الروضتين في اخبار الدولتين) جزء ١ ص ١٤٥ (بيروت ـ دار الجيل) .

٩ ـ أبو المحاسن بن تغري بردي الإتابكي : (النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة) . ج ٦ ص ٣ـ٤ (القاهرة دار الكتب المصرية) .

١٠ ـ ابن قاضي شهبة : (الكواكب الدرية في السيرة النورية) تحقيق محمود زايد (بيروت دار الكتاب الجديد) ص١٧٨

١١ ـ المرجع السابق : ص ٦٧ ـ ابن شداد ص ٥٠ .

١٢ ـ ابن شداد : ص ٥٠ .

١٣ ـ ابن واصل : (مفرج الكروب في أخبار بني أيوب) ج ١ ص ١٧٤ .

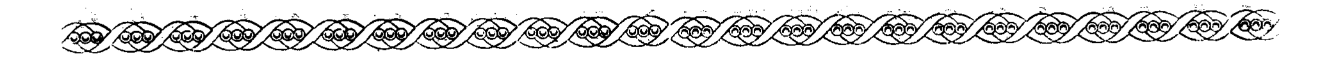


١٤ ـ ارشيبالد لويس : القوى التجارية والبحرية في حوض المتوسط ص ٣٨٢ ـ ٣٨٣ ـ ترجمة أحمد محمد عيسى •
١٥ ـ المقريزي : المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار ج ٣ ص ١٩٤ وعلي حسن : مصر في العصور الوسطى ص ٣٥٨ •
١٦ ـ وهو ما يعرف اليوم بالأركان •
١٧ ـ العمائر : السفن •
١٨ ـ المقريزي : السلوك لمعرفة دول الملوك ج ١ ص ١٠٧ـ١٠٨ •
١٩ ـ أبو شامة : كتاب الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية ج ١ ص ٢٦٩ •
٢٠ ـ عبادي وسالم : ص ٢٠٢ ، راجع المقريزي نفس المرجع ج ١ ص ٧٣ •
٢١ ـ البطالون من الأمراء والأجناد هم العاطلون من أعمال الدولة ووظائفها لأسباب ودوافع مختلفة • راجع المقريزي / السلوك ج ١ ق ١ ص ٧٣ حاشية ٤ •
٢٢ ـ اليزك ، الأيزاك : الحراس •
٢٣ ـ الأبدال بمعنى البدل الذي يحل محل الحرس •
٢٤ ـ الديدبان : كلمة فارسية الأصل (ديده بان) ومعناها المراقب أو الحارس وتعني أيضاً مكان المراقبة في موضع مرتفع •
٢٥ ـ القلقشندي : صبح الأعشى ج ٧ ص ٢٠٤ ج ١٠ ص ٢١٢
٢٦ ـ د• أحمد مختار العبادي / دراسات في تاريخ المغرب والأندلس ص ٣٠١ •
٢٧ ـ د• عبادي د• سالم : تاريخ البحرية الاسلامية في مصر والشام ص ٢٧٥ •
٢٨ ـ أبو شامة : كتاب الروضتين ج ١ ق ١ ص ٦٨٩ •
٢٩ ـ المقريزي : السلوك ج ١ ق ١ ص ١١١ •
٣٠ ـ خصص الزيارة الثانية لتعمير الأسطول وتسليحه وشحنه بالرجال ، أبو شامة ج ١ ق ٢ ص ٦٨٩ـ٦٩٠ •
٣١ ـ أبو شامة : ج ١ ق ١ ص ٦٨٩ ـ ٦٩٠ •
٣٢ ـ عبداللطيف البغدادي : كتاب الافادة والاعتبار ص ٢٨ •
٣٣ ـ جميل خانكي : تاريخ البحرية المصرية ص ١٥٧ •
٣٤ ـ المقريزي : المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار ج ١ ص ٢١٥ •
٣٥ ـ مقدمة ابن خلدون ـ بند قيادة الأساطيل : ص ٢٥٣ •
٣٦ ـ ابن شداد : النودر السلطانية والمحاسن اليوسفية (سيرة صلاح الدين الأيوبي ـ مستخرج وزارة الثقافة عن الكتاب الأساسي : تحقيق الدكتور جمال الدين الشيال) ص ٢٥ انظر البلاذري : فتوح البلدان ص ١٩٣ وخانكي ص ١١٨ •
٣٧ ـ نفسه : ص ٢٢ ـ ٢٣ •
٣٨ ـ الأمير شكيب أرسلان : تاريخ غزوات العرب ص ١٠٨ •
٣٩ ـ قلزم الشيء : ابتلعه •
٤٠ ـ محمد حمدي المناوي : الوزارة والوزراء في العصر الفاطمي ص ٢٢٩ •
٤١ ـ بعد انتصار حطين كان أرناط بين الأسرى (الى جانب الملك جفري وأخيه) فاستحضره صلاح الدين وقال له : ها أنا أنتصر لمحمد عليه الصلاة والسلام ، ثم عرض عليه الاسلام فلم يفعل ، ثم يسل النمجاة (خنجر مقوس ، بالفارسية) وضربه بها فحل كتفه وتمم عليه من حضر ورمي على باب الخيمة (ابن شداد ص ١٠٣ ـ ١٠٤) وقعة حطين •
٤٢ ـ المقريزي السلوك : ج ١ ص ٧٩ •
٤٣ ـ كان أرمني الأصل أشهر اسلامه وعينه صلاح الدين الأيوبي مقدماً للاسطول (أي قائداً للاسطول) •
٤٤ ـ أبو شامة : كتاب الروضتين ج ٢ ص ٣٥ ـ ٣٧ •



٤٥ ـ المقريزي : (كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك ج ١ ص٧٨ـ٧٩) ، وسيد علي الحريري ـ كتاب الاخبار السنية في الحروب الصليبية ص ١٤٠ ٠
٤٦ ـ القلقشندي : صبح الأعشى ج ٧ ص ٢٠٥ ، تركت الصياغة دون أي تعديل ٠
٤٧ ـ الشيني : جمعها شواني وهو مركب حربي كبير ذو ابراج وقلاع يستعمل للدفاع والهجوم ويجهز في أيام الحرب بالسلاح والتغطية ويحشد بالمقاتلة والجنود البحرية متوسط ما يحمله الشيني الواحد في الأسطول العربي الاسلامي ١٥٠ رجلا ويجدف بمئة مجداف ٠
٤٨ ـ أبو شامة : كتاب الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية ج ١ ص ١١ ٠
٤٩ ـ البطسة : مركب كبير الحجم يستخدم لنقل الجنود ٠
٥٠ ـ سيد الحريري : الأخبار السنية في الحروب الصليبية ص ١٣٤ ٠
٥١ ـ أبو شامة : المرجع السابق ج ٢ ص ٩ ٠
٥٢ ـ خانكي ص ١٤٧ ـ ١٤٨ ، الحريري : نفسه ٠
٥٣ ـ أبو شامة : نفس المرجع ج ٢ ص ١٣ ـ ١٤ سيد علي الحريري : نفس المرجع ص ١٣٦ ٠
٥٤ ـ الباز العريني : مصر في عصر الأيوبيين ص ١٧٤ ٠
٥٥ ـ أبو شامة : كتاب الروضتين ج ٢ ص ٢٧ ٠
٥٦ ـ الحريري : ص ١٣٩ ٠
٥٧ ـ خانكي : ص ١٤٩ ٠
٥٨ ـ أبو شامة : المرجع السابق ص ٤٨ ج ٢ ٠
٥٩ ـ أحمد مختار العبادي ، السيد عبدالعزيز سالم : تاريخ البحرية الاسلامية في مصر والشام ص ٢٧٩ ٠
٦٠ ـ المنجد في اللغة والآداب والعلوم ص ٤٩٥ ٠
٦١ ـ أبو شامة : ج ٢ ص ٤٨ ٠
٦٢ ـ ابن الأثير : الكامل في التاريخ ج ١١ ص ٢٢٤ ٠
٦٣ ـ المقريزي : السلوك ج ٢ ص ٩٣ ، ٩٦ ٠
٦٤ ـ فتح عكا : ربيع الآخر ٥٨٣ هـ ـ فتح بيروت : جمادى الأولى ٥٨٣ هـ ـ فتح عسقلان : جمادى الآخر هـ فتح أنطرطوس : جمادى الأولى ٥٨٤ هـ ـ فتح جبلة : جمادى الأولى ٥٨٤ هـ ـ فتح اللاذقية : جمادى الأولى ٥٨٤ ٠ ـ المرجع : ابن شداد : النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية ٠
٦٥ ـ القلقشندي : صبح الأعشى ج ٧ ص ٢٤ ٠
٦٦ ـ هو ريتشارد بلانتا جنيت Richard plantagenet حكمت اسرته بريطانيا وكان متفوقا في الأساليب التكتيكية : فن الحرب عند الصليبيين ر٠ سي سميل ترجمة وليد جلاد ص ٢٩٥ ٠
٦٧ ـ عمر كمال توفيق : مملكة بيت المقدس الصليبية ص ٢٠١ ٠
٦٨ ـ أبو شامة كتاب الروضتين ج ٢ ص ١٩٢ ٠
٦٩ ـ أبو شامة ج ٢ ص ١٢٥ ـ ١٣٨ ٠
٧٠ ـ القلقشندي : صبح الأعشى ج ٧ ص ١٢٧ ـ ١٢٨ ٠
٧١ ـ أبو شامة : المرجع السابق ج ٢ ص ١٤٢ ٠
٧٢ ـ عبادى وسالم : ص ٢٨٤ ٠
٧٣ ـ أبو شامة : ج ٢ ص ١٤٨ ، ١٥٤ ، ابن واصل : مفرج الكروب ج ٢ ص ٣٠٥ ٠
٧٤ ـ سيد علي الحريري : ص ١٨٤ ، انظر أيضا ابن شداد ص ١٧٩ ـ ١٨٠ ٠
٧٥ ـ أبو شامة ج ٢ ص ١٦١ ٠
٧٦ ـ أبو شامة : ج ٢ ص ١٨١ ـ ١٨٢ ٠

٧٧ ـ نفسه : ج ٢ ص ١٨٣ ـ ١٨٤ ٠
٧٨ ـ نفسه : ج ٢ ص ١٦١ ٠
٧٩ ـ لاحظ الصياغة : تركت كما وردت في النص الأصلي دون تعديل وهنالك بعض المراجع أدخلت تعديلات على صياغة بعض الجمل الجمل لتصبح أكثر ملاءمة من الناحية اللغوية ، مع المحافظة على المضمون ٠
٨٠ ـ ابن شداد : ص ٢٠٤ ـ ٢٠٥ ٠
٨١ ـ أبو شامة : ج ٢ ص ١٧٥ وما بعدها ٠
٨٢ ـ السلاوي الناصري : الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى ج ٢ ص ١٦٢ ـ ١٦٣ ٠
٨٣ ـ ابن عذاري : البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ج ٤ ص ١٧٥ ٠
٨٤ ـ أبو شامة : ج ٢ ص ١٨٠ ـ ١٨٢ سعيد عاشور : الحركة الصليبية ج ٢ ص ٨٦٢ ٠
٨٥ ـ ابن شداد : ص ٢٣٣ ـ ٢٣٤ (وزارة الثقافة : مستخرج من الكتاب الأصلي تحقيق جمال الشيال : النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية) ٠
٨٦ ـ ابن شداد : (كتاب النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية) تحقيق جمال الشيال ص ٢٦٧ ـ ٢٦٨ ٠
٨٧ ـ أبو شامة : ج ٢ ص ١٩٩ ـ ٢٠٠ ٠
٨٨ ـ الباز العريني : مصر في عصر الأيوبيين ص ١٨٦ ٠
٨٩ ـ سعيد عاشور : الحركة الصليبية ج ٢ ص ٨٩٨ ٠
٩٠ ـ أبو شامة : ج ٢ ص ٢١٥ ٠
٩١ ـ ابن شداد : ص ٢٠٦ ٠
٩٢ ـ أبو شامة : ج ٢ ص ١٦٢ ٠
٩٣ ـ جمع بطسة : نوع من السفن (سبق شرحها) ٠
٩٤ ـ ابن واصل : مفرج الكروب ج ٢ ص ٣٥١ ٠
٩٥ ـ ابن شداد : ص ٢٥٢ ـ ٢٥٣ ٠
٩٤ م ـ تجدر الاشارة الى أن مسالة فن الحرب البحرية في مرحلة الغزو الصليبي لم تدرس كموضوع مستقل بالرغم من أن الغزو قد بدأ عن طريق البحر وانحسر أيضاً عن طريقه حتى أن كتاب ر٠ سي٠ سميل (فن الحرب عند الصليبيين في القرن الثاني عشر) وهو أحدث كتاب يعالج هذا الموضوع ، لم يتطرق لأي جانب من جوانب فن الحرب البحرية في تلك المرحلة ٠
٩٥ م ـ الفكر الاستراتيجي العربي : العدد ١٩ ص ٢٢٧ ٠
٩٦ ـ نفسه ٠
٩٧ ـ ابن واصل : مفرج الكروب ج ٢ ص ٣٥١ ٠
٩٨ ـ عتليت حالياً وهو ميناء بحري شمال يافا ٠
٩٩ ـ سعيد عاشور : الحركة الصليبية ج ٢ ص ٩٠٢ ٠
١٠٠ ـ المقريزي : الخطط ج ١ ص ٢٠٢ ٠
١٠١ ـ مقدمة ابن خلدون : بند قيادة الأساطيل ص ٢٥٥ (دار القلم ـ بيروت ١٩٨٤ الطبعة الخامسة) ٠
١٠٢ ـ عبادي وسالم : ص ٢٩١ ٠
١٠٣ ـ ابن شداد : ص ٢٢ ـ ٢٣) انظر أيضاً ص ٢٥ حول الجهاد البحري من نفس المرجع ٠
١٠٤ ـ المقريزي الخطط ج ٢ ص ١٧٤ انظر أيضاً جورجي زيدان : تاريخ التمدن الاسلامي ج ١ ص ١٩٧ حيث يقول : « وفي أواخر الدولة الأيوبية وأوائل عهد المماليك أصبحت الخدمة في الأسطول عاراً لتشبيه البحارة بالقادمين من البحر لغزو الأقطار الاسلامية ٠٠٠ »



المراجـــع

حسب تسلسل ورودها في البحث

١ ـ بهاء الدين بن شداد (أبو المحاسن يوسف بن رافع) : النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية ـ تحقيق جمال الشيال (مستخرج وزارة الثقافة السورية) .

٢ ـ ابن خلكان : وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان تحقيق الدكتور احسان عباس .

٣ ـ أبو شامة (عماد الدين أبي محمد عبدالرحمن بن اسماعيل) : تاريخ الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية .

٤ ـ أبو المحاسن بن تغري بردي الاتابكي : النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة .

٥ ـ ابن قاضي شهبة : الكواكب الدرية في السيرة النورية . تحقيق محمود زيدان .

٦ ـ ابن واصل (جمال الدين أبو عبدالله محمد بن سليم الشافعي) : مفرج الكروب في أخبار بني أيوب .

٧ ـ المقريزي (تقي الدين أحمد بن علي) : المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار .

٨ ـ المقريزي : السلوك لمعرفة دول الملوك .

٩ ـ علي حسن : مصر في العصور الوسطى .

١٠ ـ أرشيبالدلويس : القوى التجارية والبحرية في حوض المتوسط ترجمة أحمد محمد عيسى .

١١ ـ د. أحمد مختار العبادي و د. السيد عبدالعزيز سالم : تاريخ البحرية الاسلامية في مصر والشام .

١٢ ـ القلقشندي (أبو العباس أحمد) : صبح الأعشى .

١٣ ـ د. أحمد مختار العبادي : دراسات في تاريخ المغرب والأندلس .

١٤ ـ عبداللطيف البغدادي : كتاب الافادة والاعتبار .

١٥ ـ جميل خانكي : تاريخ البحرية المصرية .

١٦ ـ الأمير شكيب أرسلان : تاريخ غزوات العرب .

١٧ ـ البلاذري (أحمد بن يحيى بن جابر) : فتوح البلدان .

١٨ ـ محمد حمدي المناوي : الوزارة والوزراء في العصر الفاطمي .

١٩ ـ سيد علي الحريري : الأخبار السنية في الحروب الصليبية .

٢٠ ـ د. السيد الباز العريني : مصر في عصر الأيوبيين .

٢١ ـ المنجد في اللغة والأدب والعلوم .

٢٢ ـ ابن الأثير (علي بن أحمد بن أبي الكرم) : الكامل في التاريخ .

٢٣ ـ عمر كمال توفيق : مملكة بيت المقدس الصليبية .

٢٤ ـ السلاوي الناصري : الاستقا لأخبار دول المغرب الأقصى .

٢٥ ـ ابن عذاري : (أبو العباس أحمد) : البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب .

٢٦ ـ سعيد عبدالفتاح عاشور : الحركة الصليبية .

٢٧ ـ الفكر الاستراتيجي العربي العدد ١٩ .

٢٨ ـ مقدمة ابن خلدون (عبدالرحمن بن محمد) : بند قيادة الأساطيل .

٢٩ ـ فن الحرب عند الصليبيين في القرن الثاني عشر (١٠٩٧ ـ ١١٩٣) . ر. سي ـ سميل : ترجمة محمد وليد الجلاد .